

العنوان: تزكية النفس البشرية في ضوء القرآن الكريم
المصدر: مجلة كلية أصول الدين - كلية أصول الدين بجامعة أم
درمان الإسلامية - السودان
المؤلف الرئيسي: عمر، عبدالعزيز إبراهيم محمد
المجلد/العدد: ع 1
محكمة: نعم
التاريخ الميلادي: 2007
الصفحات: 218 - 240
رقم MD: 522501
نوع المحتوى: بحوث ومقالات
قواعد المعلومات: IslamicInfo
مواضيع: تزكية النفس، الأخلاق والمتفرقات
رابط:

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

تزكية النفس البشرية في ضوء القرآن الكريم

د. عبد العزيز إبراهيم محمد عمر*

تهديد

اللهم لك الحمد، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ملء السموات و ملء الأرض و ملء ما بينهما و ملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد.

وأشهد أن لا إله إلا الله إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، أرسله الله بشيراً و نذيراً و داعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الذين عزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بكرمك وجودك يا جواد يا كريم.

أما بعد...

فمع طغيان موجة المدنية الجارفة الزائفة، ومع الإسفاف والإخلاق إلى الأرض لإشباع الغرائز وتحصيل اللذائذ واستكبار قوى البغي والطغيان التي تريد أن تهلك الحرث والنسل دون مراعاة للأخلاق ولا رحمة بالإنسانية، يمد العالم الغريق يديه للأمة الوسط لتتقاه بحيل الله ولتعيده لبر الأمان وجادة التوازن:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143].

فإذا نظر المسلم لأمة الإنقاذ والوسطية، وجد بعضها قد جرفه التيار وبعضها قد أثر الراحة والسلامة والترف والدعة، ولكن شاءت إرادة الله سبحانه أن يجعل الخير في الأمة موصولاً إلى قيام الساعة، وأن تظل طائفة منها مرابطة وداعية إلى الحق، التزاماً، ودعوة، وسلوكاً، ومنهجاً، وجهاداً، وهؤلاء لا بد لهم من فقه طريق البداية حتى يجري الله سبحانه على أيديهم الخير لهم ولأمتهم وللناس أجمعين.

وطريق البداية واحد لا مبرية فيه، ألا وهو تزكية النفوس، وإصلاحها، وتعميرها بالطاعة، فهو شرط التغيير، وطريق كل خير، وسلام بإذن الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11].

* أستاذ مساعد بقسم القراءات، كلية أصول الدين، جامعة أمدرمان الإسلامية.

ومن هنا كانت الكتابة في هذا البحث: تزكية النفس البشرية في ضوء القرآن الكريم، وأعلم أن المتأخرين عيال على السابقين في هذا المجال، ولكن وجدت أن الأوائل كتبوا فيه بأساليب راقية، وعبارات أصبح بعضها غير مألوف لدينا، فضلاً عن التطويل والتحليلات العميقة التي لا يسر غورها وبأخذ من معينها بعضنا.

لذا حاولت الاقتباس والاختصار، وأهم ما يميز هذا البحث - والله الحمد والمنة في ذلك - تزكية النفس البشرية في ضوء القرآن الكريم، حيث تناول الباحث فيه الموضوع ببعض التفصيل، وربط الموضوع بالدليل النقلى ما أمكن، وإفساح المجال للشواهد والأدلة، وإن نقلت من كلام السلف والعلماء فهو السهل إن شاء الله.

وسأحرص على الاختصار، وقلة التعليقات والتحليلات، مستفيداً من أكثر ما كتب قديماً وحديثاً، ومن محاضرات مشايخ الدعوة وعلمائها، وما فتح الله سبحانه به عليّ من خواطر وإضافات جديدة، أما وسائل التزكية فكلها من القرآن الكريم، ومن آثاره عليه السلام، ومما نبه إليه الصحابة رضي الله عنهم والسلف الصالح، وسأختصر في ذلك ما أمكن، وسأصعب حل اهتمامي في بيان أثر الوسيلة في إحداث التزكية أو الارتباط بينهما، دون التعمق في بيان كيفية ذلك، من مراعاة الشروط المختلفة، فهذه معروفة ومذكورة في الكتب التي تعرضت لهذه الوسائل بالتفصيل.

وأخيراً أقول: إن هذا البحث تذكرة لنفسي وإخواني وعذري فيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((رب حامل فقه ليس بفقيه))^(١).

وأسال الله جلّت قدرته، وتعاضم شأنه، أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به يوم التناد إنه أكرم مسؤول، وخير مأمول، وهو حسني ونعم الوكيل.

الفصل الأول: معنى التزكية وأهميتها وحاجة الأمة إليها

١. المبحث الأول: معنى التزكية.
٢. المبحث الثاني: مكانة التزكية من الدين وخطورة إهمالها.
٣. المبحث الثالث: حاجة الأمة إلى أهل التزكية.
٤. المبحث الرابع: أهمية التزكية في الدعوة الإسلامية.

المبحث الأول: معنى التزكية

التزكية لغة: يدور معنى «الزكاة» في اللغة حول النمو، والزيادة، والبركة، والطهارة، والصلاح، والثناء الجميل^(٢). والفعل منها: «زكا، يزكو»، وعلى هذا فالتزكية - وهي المصدر المتعدي - معناها: التطهير

والإصلاح وفعل ما يؤدي إلى البركة والزيادة والثناء الجميل، والفعل منها: «زكا، يزكو»، وهذه المعاني وردت في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مَنَ أَسَدٌ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [التوبة: ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾﴾ [الشمس: ٩]. وهذه الآيات محور حديثنا في هذا البحث، كما وردت التزكية بمعنى مدح النفس والثناء عليها. وهذه التزكية مرفوضة إلا لضرورة شرعية - وليست موضع حديثنا - قال تعالى: ﴿فَلَا تَرْكَبُوا أُنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢]، ويقول أيضاً: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أُنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يَظْلُمُونَ فَيْلًا ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ٤٩]. قال القرطبي: "فقد دل الكتاب والسنة على المنع من تزكية الإنسان نفسه إلا لضرورة" (٣).

التزكية في اصطلاح العلماء: ليس هناك فرق كبير بين التعريف الاصطلاحي والتعريف اللغوي، فهو مبني عليه، ومن التعريفات الاصطلاحية تعريف الأستاذ الشيخ أبي الحسن الندوى لها بقوله: "نسمي العلم الذي يتكفل بتزكية النفوس وتهذيبها وتحليتها بالفضائل الشرعية، وتخليتها عن الرذائل النفسية والخلقية، ويدعو إلى كمال الإيمان، والحصول على درجة الإحسان، والتخلق بالأخلاق النبوية، واتباع الرسول ﷺ في صفاته الباطنية، وكيفيته الإيمانية: «التزكية» أو «الإحسان» أو «فقه الباطن» (٤).

وعرفها الأستاذ سعيد حوى بقوله: "زكاة النفس تطهيرها من أمراض وآفات، وتحقيقها بمقامات، وتخليقها بأسماء وصفات، فالتزكية في النهاية تطهير وتحقيق وتخلق" (٥).

وقال في موضع آخر: "التزكية هي تخلص النفس من نجاساتها، ومن شهواتها الخاطئة، وحيوانيتها الهابطة، ومن منازعتها الربوبية وتخليصها من كل أنواع الظلمات، وإنما بعث الرسل عليهم الصلاة والسلام لمثل هذا" (٦).

المبحث الثاني: مكانة التزكية من الدين وخطورة إهمالها

ليست التزكية شيئاً عارضاً أو هيناً في ميزان الإسلام، ولكنها الهدف الأسمى للإسلام، وشعبة عظيمة من شعبه، وبكفي أن الله ﷻ جعلها من المهام التي أرسل لها نبيه محمداً ﷺ، جعل ذلك في مواضع كثيرة من القرآن منها قول تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وليس أدل على أهميتها أيضاً من أن الله ﷻ جعل الفلاح في فعلها والخيبة والخسران في إهمالها، فقال، بعد أطول قسم في القرآن الكريم كله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴿١٠﴾ [الشمس: ٩-١٠]. جاء في تفسيرها: أي فاز وسعد وأفلح من زكّى الله نفسه أو زكا هو - أي العبد - نفسه بالطاعة، والعمل الصالح، والتقوى، وفعل كل مطلوب، والظفر بكل محبوب لله ورسوله ﷺ (٧)، «وقد خاب من دساها»: أصل «التدسية»: الإخفاء ومنه قوله تعالى: ﴿أَزِيدُكُمْ فِي الْقُرَابِ﴾ [النحل: ٥٩].

فالعاصي يفسد نفسه في المعصية، ويخفي مكانها، ويتوارى عن الخلق من سوء ما يأتي به، قد انقمع عند نفسه، وانقمع عند الله، وانقمع عند الخلق (٨).

وروى مسلم والنسائي وابن ماجه وابن المنذر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله هذه الآية: ﴿الْمَ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحديد: ١٦] [إلا أربع سنين]» (٩).

ولما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «(إن الله يستبطنكم بالخشوع)»، قالوا عند ذلك: خشعنا. وقال الحسن البصري: «(استبطنهم وهم أحب خلقه إليه)» (١٠).

فإذا كان هذا الكلام قد قيل في أصحاب النبي ﷺ - أو بعضهم - وهم الذين قطعوا في الطريق إلى الله أشواطاً بعيدة، ونزل في فضلهم وكرامتهم وهمتهم العالية ما نزل، واستقر لهم من السيادة بين الناس ما هو معروف، فما حكم التزكية في حقنا نحن، وقد خضنا في لجم المادة حتى الأعناق، وراودتنا الدنيا بمفاتنها ومباهجها وأحاطت بنا الفتن كالسوار في المعصم، وتوالت علينا المحن، وتنداعى علينا الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها!؟

لهذه الأهمية كان النبي ﷺ يسأل ربه أن يزكي نفسه، ويتعوذ به مما يخالف ذلك فيقول: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها» (١١).

المبحث الثالث: حاجة الأمة إلى أهل التزكية

قد عرضنا شيئاً عن أهمية التزكية ومكائنها من الدين، أما رجالها المرابطون عليها علماء وعملاً فهم الروح الذي يسري في هذه الأمة، فيحياها بإذن الله، ويستنقذها من ركابها وسبائها ووحدها، وهم أملها في كل غرباء مظلمة، وهاديها في طريقها إلى الله.

وعنهم يقول الأستاذ الندوي: "يجددون هذا الطلب النبوي لكل عصر، وينفخون في الأمة روحاً جديدة من الإيمان والإحسان ويجددون صلة القلوب بالله، والأجسام بالأوراح، والاجتماع بالأخلاق والعلماء بالربانية، ويوجدون في الجمهور قوة مقاومة الشهوات، وفتنة المال والولد، وزينة الحياة الدنيا، وفي الخواطر قوة مقاومة

صلات الملوك وسياطهم ووعدهم ووعيدهم، والجراة على الجهر بكلمة حق عند سلطان جائر، والاحتساب على الملوك والأمراء والاستهانة بالمظاهر والزخارف، والقناعة باليسير، فيستطيع أحدهم أن يقول - وقد طلب منه أن يقبل يد الملك ليرضى عنه - : يا مسكين، والله ما أرضاه أن يقبل يدي فضلاً أن أقبل يده؟! يا قوم أتمم في وادٍ وأنا في وادٍ. ويقول بعضهم وقد عرض عليه ملك بلاده أن يقبل شيئاً آتاه الله من الخير الكثير: إن الله يصف هذه الدنيا بطولها وعرضها بالقلة والخسة فيقول: ﴿قُلْ مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧]، وقد «رزقك الله جزءاً صغيراً من قطعته الصغيرة فلا أصيبك وأفجعك فيه»، ويمدُّ أحدهم رجله إلى أمير جبار، ويرسل إليه هذا الأمير صرةً من الذهب فيرفضها قائلاً: إن من يمدَّ رجله لا يمدَّ يده“ (١٢).

الفصل الثاني: ثمرات التزكية

١. المبحث الأول: أهمية التزكية للمجاهدين والمصلحين والعلماء والدعاة.
٢. المبحث الثاني: أهمية التزكية للنجاة من المكائد والمصائب والخروج من الأزمان وإيجاد الرزق.
٣. المبحث الثالث: أهمية التزكية لقوة الجسد وراحته وسلامته والألفة مع الخلائق.
٤. المبحث الرابع: أهمية التزكية للسعادة والطمأنينة والأنس والشرف والذكر.
٥. المبحث الخامس: أهمية التزكية في الثبات والنجاة من الفتن والتقلبات وتحقيق مظاهر العبودية.

المبحث الأول: أهمية التزكية للمجاهدين والمصلحين والعلماء والدعاة

النصر آتٍ لا ريب فيه، لأنه وعد مفعول تكفل به مولانا جلّ في علاه وبشرّ به في كتابه الكريم رسوله العظيم ﷺ، وهو موهبة من عنده سبحانه، ولكنه جلّ شأنه لا يضع الشيء في غير موضعه، ولا يعطي النصر للمفترطين أو المقصرين أو الكسالي، بل لا بد له من عدة، وأول هذه العدة الإقبال على النفس بتزكيتها وتربيتها وتصفيتها من الرذائل والذنوب. وقد كان بعض المتحمسين المتعجلين في مكة يريدون المواجهة المسلحة مع الباطل، فأمرهم الله تعالى أن يدعوا ذلك ويربوا أنفسهم: ﴿الَّذِينَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [النساء: ٧٧]. فلما حانت ساعة الجِدِّ وأذن الله للمؤمنين في القتال: ﴿إِذَا وَقَعَتْ مَنَّهُمْ يَحْشَوْنَ النَّاسَ كَحَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ حَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْفِتْنَةَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧] (١٣).

وإذا رجعنا إلى تاريخنا وجدنا النصر مطرداً مع التزكية والتربية، ووجدنا الهزيمة مطردة مع إهمالها أو التقصير فيها، ولترجع مثلاً إلى غزوة بدر وغزوة أحد، ولنقارن بين الأحزاب وحنين، ولننظر للدولة

الإسلامية في أيام عزها وسيادتها، وأيام ضعفها وهزيمتها، بل لناخذ العبرة من معركة واحدة وجيش واحد، هو جيش طالوت. ولذلك يقول ابن القيم **رحمته**: "وكذلك النصر والتأييد الكامل إنما هو لأهل الإيمان الكامل قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهُدُ ﴾ [غافر: ٥١]. وقال تعالى: ﴿ فَأَيُّ ذُنُوبِكُمْ ءَامَنُوا عَلَىٰ عُدُومِهِمْ فَاصْبِرُوا لَهَا إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْأَصْفِ ﴾ [١٤].

فمن نقص إيمانه نقص نصيبه من النصر والتأييد، ولهذا إذا أصيب العبد بمصيبة في نفسه أو ماله أو بتكاليف عدوه عليه، فإنما هي بذنوبه؛ إما بترك واجب، أو فعل محرم، وهو من نقص إيمانه " (١٤). قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَمِمَّا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠].

وبعون الله وتوفيقه سأذكر بعضاً من الشواهد القرآنية الموجزة على هذه الحقيقة وكذلك من السنة الشريفة وسيرة الخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان من القادة الفاتحين المجاهدين في العصور المختلفة:

فمن القرآن الكريم

١. يقول الله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا ٱسْتَكَانُوا وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [١٦١] وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ ٱلْأَن قَالُوا رَبَّنَا ٱغْزِرْنَا وَٱسْرَافِنَا فِي ٱمْرِنَا وَقَبِيتَ ٱقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦-١٤٧]، فقد طلبوا مغفرة الذنوب وتصفية النفس مما علق فيها من الران قبل طلب النصر، وقبل لقاء العدو!

٢. ولما توعد الله ﷻ بني إسرائيل توعدهم بأناس لهم عوامل النصر وأولها أهم أهل عبودية الله قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ ٱلَّذِينَ هُمَا بِعِنَا عَلَيْنَا كَمَا بَدَأْنَا ٱلْأَوَّلَىٰ بِأَنسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خُلْدَهُمْ دُرِيًّا وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ [الإسراء: ٥]، فذكر العبودية وصدق الانتساب إليه ﷻ قبل القوة الحربية وفنون القتال المختلفة.

٣. ولما توعدهم في المرة الثانية أخبرهم بأن الآخرين سيكونون بنفس المواصفات الأولى، من العبودية، والانتساب إليه، والإنابة له، والتمسك بحبله، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسْتَفْهِمُواْ وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلسُّجُودَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الإسراء: ٧]، أي: إلى نفس الروح الأولى والمواصفات الأولى.

٤. وفي القرآن الكريم نجد التزكية ملازمة للجيش المؤمنة في كل حركة ومعركة وموقف، فهي قبل اللقاء وعند المواجهة وبعد اللقاء وفي كل حال يتعرض لها الجيش، يقول تعالى عن المؤمنين قبل بدر: ﴿ إِذْ تَسْتَعِينُونَ رَبَّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٩]، ويقول عن جيش طالوت: ﴿ وَلَمَّا بَرَّرُواْ

لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَكَيْتَ أَقْدَامِنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ [البقرة: ٢٥٠].

٥. ويقول أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْحَرُونَ
﴿٤٥﴾ [الأنفال: ٤٥]، وبعد النصر والتمكين والتأييد لا مجال للتفاخر والكبر واللامبالاة، بل هو
الخشوع والتواضع والتزكية وشكر الله على النعم والآلاء قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ
﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ
تَوَّابًا ﴿٣﴾ [النصر: ١-٣].

٦. ويخبرنا القرآن الكريم أن ضعف تزكية النفس من أهم عوامل الهزيمة والفشل فيقول تعالى مبيناً أسباب
هزيمة أحد: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ
وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْبْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَا نُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا
وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

٧. وبين سبب الفرار وهو من أسباب الهزيمة فيقول: ﴿الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ
الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٠﴾﴾ [آل عمران: ١٥٥] (١٥).

ومن السنة النبوية والسيرة العطرة

١. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «(لما كان يوم بدر قاتلت شيئاً من قتال، ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنظر ما صنع، فحجت وإذا هو ساجد يقول: يا حي يا قيوم، ثم رجعت إلى القتال، ثم جئت فإذا هو
ساجد يقول ذلك، ففتش الله)» (١٦).

٢. وعن بريدة رضي الله عنه قال: «(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى
الله، ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: اغزوا باسم الله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا
وليداً)» (١٧). وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحرص أشد الحرص على تطهير الجيش من عناصر الخذلان والهزيمة، وأهمها
الذنوب والمعاصي، وجميع المخالفات الشرعية، فتروي لنا بعض كتب السنة والسيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان
يعدّل صفوف أصحابه يوم بدر، فرأى سواد بن غزوة وهو متقدم في الصف فطعنه في بطنه بقدهج كان
في يده، وقال له: استوي يا سواد، فقال له: يا رسول الله قد أوجعتني وقد بعثك الله بالحق فأقدين، فهياً
النبي صلى الله عليه وسلم ليقتص منه فقال له سواد: قد ضربتني وليس علي قميص، فكشف له النبي صلى الله عليه وسلم عن بطنه فأسرع

يقبله، فقال له ﷺ: ما حملك على هذا يا سواد؟ فقال: يا رسول الله، حضر ما ترى، فأحببت أن يكون آخر عهدي بالدنيا أن يمس جلدي جلدك)) (١٨).

والشاهد في هذا الخبر أن النبي ﷺ لم يرجع عملية القصاص لما بعد المعركة، ولكنه أراد أن يخلص الجيش من ذنوبه، لو كانت فيه ذنوب.

نماذج من سيرة الخلفاء الراشدين والتابعين والفاتحين والمجاهدين في العصور المختلفة

١. كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ومن معه من الجنود: ((أما بعد، فإني أمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وأمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عدونا ليس كعددهم ولا عدتنا كعددهم، فإن استوتينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا، فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظه من الله، يعلمون ما تفعلون، فاستحوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله، وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا، فرب قوم سلط عليهم شر منهم، كما سلط على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفار الجوس، فحاسوا خلال الديار، وكان وعداً مفعولاً. اسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم، أسأل الله ذلك لنا ولكم)) (١٩).

٢. وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: ((أيها الناس، اعملوا صالحاً قبل الغزو فإنما تقاتلون بأعمالكم)) (٢٠).

٣. وقبل القادسية خطب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه و تلا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (١٥٠) [الأنبياء: ١٠٥]، وقرأ آيات الجهاد والسيف، وصلى بالناس الظهر ثم كبر أربعاً وأمرهم أن يقولوا لا حول ولا قوة إلا بالله (٢١).

٤. وكان الفضيل بن عياض رضي الله عنه يقول للمجاهدين إذا أرادوا أن يخرجوا: "عليكم بالتوبة فإنها ترد عنكم ما لا تردده السيوف" (٢٢).

٥. وكان محمد بن واسع من التابعين، وقتيبة بن مسلم يستبشر بالنصر بمصاحبته لصلاحه وتقواه، وما روي عنه: أنه كان مع قتيبة في جيش، وكانت الترك خرجت إليهم، فبعث قتيبة إلى المسجد ينظر من فيه، أي أنه يستطلع أحوال الجيش الإيمانية، فقيل له: ليس فيه إلا محمد بن واسع رافعاً أصبعه يدعو، فقال قتيبة: إصبعه تلك أحب إلي من ثلاثين ألف عنان (٢٣).

٦. وكان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله يتفقد خيام المحاربين قبل لقاء الصليبيين، فإذا رأى خيمة قائمة بالليل تصلي وتقرأ القرآن وتذكر الله قال: هذه خيمة نرجو أن تأتينا النصر من قبلها، وإذا رأى خيمة نائمة، قال: هذه خيمة نخشى أن تأتينا الهزيمة من قبلها.

وتكمن ضرورة التزكية في أن المجاهدين والمصلحين هم في حاجة إليها، لأنهم يعملون في جهات مختلفة، فهم يواجهون مخططات الكفار من الداخل والخارج، ويواجههم الطابور الخامس من أهل النفاق والدسائس في الداخل، دع عنك الأمراض الاجتماعية المختلفة من جهل وسلبية ورذائل، فضلاً عن جهادهم في الدعوة والتربية، وكل هذا لن يوقفه إلا ذو حظ عظيم من التزكية.

وقد عقد الأستاذ أبو الحسن الندوي فصلاً في كتابه «ربانية لا رهبانية» ذكر فيه عدداً من قادة الدعوة والإصلاح، ومقاومة الاستعمار والاستبداد، وبين فيه السر الكامن وراء نجاح هؤلاء، وهو نفوسهم المزكاة وحسن صلتهم بالله، وذكر قائمة كبيرة منهم^(٢٤)، ”وما يجدر بالذكر ويسترعي الانتباه أن تلك القوى المعنوية والروحية والشخصية الفذة، والإخلاص والربانية، والحنان والعاطفة، والإقدام والشهامة، التي نحتاج إليها للتضحية، وبذل المهج والأرواح، والجهاد والكفاح، والتجديد والإصلاح، والفتح والتسخير، لا تنشأ ولا تظهر في أكثر الأحيان، إلا بعد صفاء الروح، وتهذيب النفس، والرياضة والعبادة. ولذلك نرى أن أكثر من قاموا بدور التجديد والجهاد في تاريخ الإسلام يتمتعون بمكانة روحية سامية“^(٢٥).

ويقول الندوي أيضاً: ”إن تجارب الحياة الطويلة تدلنا على أن المعلومات والدراسات، أو القوانين والأشكال الفارغة، لا تستطيع أن تثير في الإنسان أدنى رغبة في الإثارة والتضحية والمقاومة فضلاً عن الفداء بمهجته وروحه، لأنه لا بد له من صلة بالله عميقة راسخة، ولذة روحية متصلة بالخالق العلي والحرص على فائدة معنوية تصغر في عينيه الفوائد المادية العاجلة“^(٢٦).

إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم صفوة الخلق، وصفوة الدعاة، ومع أن الله سبحانه كمل عقولهم وموابههم، فإنه جل شأنه، أمرهم وندبهم إلى شيء لا بد منه، قبل أن يتوجهوا للناس بالدعوة، ألا وهو تزكية أنفسهم أولاً.

فهذا محمد صلى الله عليه وسلم يأمره ربه بقيام الليل حتى يستطيع أن ينهض بعبء هذه الأمة: ﴿يَأْتِيهَا الرُّزُقُ﴾^(١) ﴿وَأَتَى لَإِلْقِيلًا﴾^(٢) نَصْفَهُ وَأَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا﴾^(٣) أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَزَقْ الْقُرْآنَ رَبِّيلاً﴾^(٤) إِنَّا سَأَلْنَاكَ قَوْلًا نَقِيلاً﴾^(٥) ﴿الزمر: ١٥-١٠﴾.

ولما أرسل الله رسله بالهداية وإمامة الناس إلى الخير لم يتركهم هكذا دون توجيه إلى الزاد، فقال جل شأنه عن إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ

أَخْبَرْتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَمِيدِينَ ﴿٧٣﴾ [الأنبياء: ٧٣]، والتزكية نفسها هي العدة الأهم في مواجهة كل الطواغيت في هذه الدنيا، من لدن فرعون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، يقول تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِتَابِعِي وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي﴾ ﴿٤٤﴾ [طه: ٤٢].

ورئاسة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الدعوة إلى الله، ومقارعة الطواغيت، والظلمة والمستكبرين، والمنافقين الذين يصدون عن سبيل الله شيء عظيم، لا ينهض به إلا أولوا العزائم والهمم العالية والمشتمون إلى الله.

وهذا لا يهيا لهم إلا إذا أخذوا أنفسهم، بما فرضه الله على أنبيائه، من ألوان التزكية، ووسائل التقرب إلى الله المختلفة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٦١﴾ [العنكبوت: ٦٩].

المبحث الثاني: أهمية التزكية للنجاة من المكائد والمصائب والخروج من الأزمات وإيجاد الرزق

إن أهل الحق في طريقهم إلى الله معرضون إلى الكثير من المصائب والمكائد التي تحاك لهم بمكر من أعدائهم، وأهل الإيمان جميعاً مبتلون بمحن وشدائد، ويعوارض وآفات يمتحنهم الله بها، وفي كل خير إن هم صبروا واحتسبوا، ولمواجهة تلك المكائد والخروج من هذه الأزمات وسائل مادية، مشروعة، ندب الإسلام للأخذ بها، ولكن وجدت التزكية عنصراً مهماً يعول الإسلام عليه كثيراً في هذه المواجهة.

يقول الله تعالى: ﴿وَدَكَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَنًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَرُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ [البقرة: ١٠٩-١١٠].

وقد وجهنا الله ﷻ في هذه الآية لتزكية نفوسنا بعبادات جليلة، حتى تتمكن من رد كيد هؤلاء اليهود، وفي مواضع أخرى يجعل ربنا ﷻ المواجهة بالصرم والتقوى، قال تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ سَوْهَتْمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ [آل عمران: ١٢٠].

ويوسف ﷻ نجاه الله ﷻ مما دبر له بالإخلاص - وهو من وسائل التزكية - ﴿كَذَلِكَ يُصْرِفُ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿١١﴾ [يوسف: ٢٤].

قال ابن القيم: "أخبر سبحانه أنه صرف عنه السوء والفحشاء من الفعل بإخلاصه" (٢٧). وأهل الكهف نجّاهم الله وحماهم بالرعب - وهم رقود - حيث لجأوا إليه سبحانه: ﴿رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحِمَةٌ وَهِيَئَ لَنَا مِن أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠]. وإن حماية الله لنا من هذه المكائد ودفاعه عنا، إنما تكون على قدر إيماننا وعبوديتنا له، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦].

وكان السلف الصالح يقولون: على قدر العبودية تكون الكفاية، ويقول ابن القيم تَعَلُّقُهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨] (٢٨)، يقول: "دفّعه ودفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله، ومادة الإيمان وقوته بذكر الله تعالى، فمن كان أكمل إيماناً، وأكثر ذكراً، كان دفع الله تعالى عنه، ودفاعه أعظم، ومن نقص نقص"، أي من نقص إيمانه نقص الدفاع عنه، وهذا الأمر شائع ومشهور في سير الأنبياء الصالحين في كل عصر، حيث أدركوا أهمية التزكية بمعانيها ومظاهرها المختلفة، في النجاة من كل كيد أو محنة، ونكتفي في التذليل عليه فضلاً عما ذكرناه بقصة، وهي قصة عوف بن مالك الأشجعي، حيث جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن ابني أسره العدو، وجزعت أمه فما تأمرني؟ قال: أمرك وإياها أن تستكثروا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقالت المرأة: نعم ما أمرك به، فجعلنا يكثران منها فتغافل عنه العدو، فاستاق غنمهم فجاء بها إلى أبيه فنزلت: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢] (٢٩).

المبحث الثالث: أهمية التزكية لقوة الجسد وراحته وسلامته والإلفة مع الخلائق

للخروج من الأزمات الاقتصادية، والوصول إلى مرحلة الكفاية والرزق الواسع وسائل مادية كثيرة شرعها الإسلام وحث عليها، ويمكن الرجوع إليها في مواضعها، ولكن وجدت للتزكية بوسائلها المختلفة في هذا الأمر وسيلة، بل إنها بداية الحلول، وبعدها يوفق الله سبحانه للوسائل الأخرى، ويكفل المساعي بالنجاح. ولأمتنا في ضاقتها الاقتصادية وما تمخض عنها بتزكية النفس مخرج، وقد بين لنا كيفية المواجهة فقال جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرِّ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ (٤٤) ﴿قُلْ لَآ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسًا تَضُرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢-٤٣]. ومعنى البأساء بالمصائب في الأموال، والضراء في الأبدان (٣٠).

ويعلق المرحوم سيد قطب على هاتين الآيتين فيقول: "لقد أخذهم الله بالبأساء والضراء ليرجعوا إلى أنفسهم، وينقبوا في ضمائرهم وفي واقعهم لعلهم تحت وطأة الشدة يتضرعون إلى الله ويتذللون له، وينزلون عن عنادهم واستكبارهم، ويدعون الله أن يرفع عنهم البلاء بقلوب مخلصه، فيرفع عنهم البلاء ويفتح لهم أبواب الرحمة، ولكنهم لم يفعلوا ما كان حرياً أن يفعلوا، لم يلجأوا إلى الله، ولم يرجعوا عن عنادهم، ولم

ترد إليهم الشدة وعيهم، ولم تفتح بصيرتهم ولم تلن قلوبهم، وكان الشيطان من ورائهم يزين لهم ما هم فيه من الضلال والعناد“ (٣١).

فاللجوء إلى الله ﷻ واستلهاهم المعونة منه، هو أول طريق الخلاص، وهذا ما كان النبي ﷺ يوجه إليه أهله وأصحابه، ويوجهنا معهم، فقد أخرج الإمام أحمد في الزهد وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عن ثابت قال: ((كان النبي ﷺ إذا أصابت أهله خصاصة - الحاجة أو الفقر - نادى أهله: يا أهلاه صلوا صلوا)) (٣٢).

ومن وسائل الرزق الاستغفار، وصلة الأرحام، والحج والعمرة، وقراءة الآيات المختارات، والبعد عن المحرمات، قال ﷺ: ((إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه)) (٣٣). وقال ﷺ: ((إن للحسنة سعة في الرزق، وإن للسيئة نقصاً في الرزق)) (٣٤).

المبحث الرابع: أهمية التزكية للسعادة والطمأنينة والأنس والشرف والذكر

ومن الأسرار العجيبة للتزكية أن لها أسراراً عظيمة في قوة الجسد، وراحته، وبهائه، ونضارته، وحفظه، وحمائه من المكروه والأذى، وسلامته من الأمراض والعلل، ومما يؤكد ذلك قول الله تبارك وتعالى على لسان نبيه هود ﷺ: ﴿وَيَقُولُ آسَفَرُوا بَارِكُوا رَبِّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢].

وكثير منا يعاني متاعب العمل اليومي، أو قد يعجز عن القيام بهذه المهمة وينسيه الشيطان أن التزكية هي بلسم عظيم مخفف شافٍ لا مثيل له في التخفيف لعناء الشدة وشظف العيش، فقد روى الشيخان أن فاطمة بنت محمد ﷺ أتت النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى في يديها من الرحي، وتسأله خادماً فقال النبي ﷺ: ((ألا أدلكما على خير مما سألتماه؟ إذا أخذتما مضاجعكما فكبرا الله أربعاً وثلاثين، واحداً ثلاثاً وثلاثين، وسبحة ثلاثاً وثلاثين، فإن ذلك خير لكما مما سألتماه)) (٣٥). وقال ابن القيم معقياً على هذا الحديث: ”إن من داوم على ذلك وجد قوة في يومه مغنية عن خادم“ (٣٦).

كما ذكر ابن القيم رحمه الله: ”من فوائد الذكر أنه يعطي الذاكر قوة حتى أنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه“، ومن أعظم الوسائل لتزكية الروح وراحته قيام الليل، حيث له آثاره الطيبة في قوة الجسد ونشاطه، وله سرٌّ عجيب في طرد الأمراض من الجسد. يقول ﷺ: ((عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم ومقربة لكم إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهارة عن الإثم، ومطرقة للداء عن الجسم)) (٣٧).

وليست القوة فقط نصيب الجسد من التزكية، ولكنها النظارة والبهاء والجمال في الوجه والجسد، قيل للحسن بن علي رضي الله عنه: ما بال المتجهدين أحسن الناس وجوهاً؟ فقال: «لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره» (٣٨).

وذكر ابن القيم من فوائد الذكر أنه: ”يكسو الذكور المهابة والحلاوة والنضرة، وقد فطن سلفنا الصالح لهذه الآثار المباركة، وظهر من أفعالهم وأقوالهم ما يؤكد ذلك، قال ابن عباس رضي الله عنه: «إن للحسنة ضياءً في الوجه، ونوراً في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القبر، وهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق» (٣٩).

وقال ابن رجب رحمته الله: ”من حفظ الله في حياته وقوته حفظه الله في حال كبره وضعف قوته ومتعه بسمعه وبصره وحوله وقوته وعقله“.

وتأمل أخي قوة أبدان فارس والروم كيف خانتهم قوتهم وضخامة أجسامهم عندما كانوا في حاجة إليها، وقهرهم أهل الإيمان بقوة أبدانهم وقلوبهم نسأل الله العفو والعافية، وقوة القلوب والأبدان.

المبحث الخامس: أهمية التزكية في الثبات والنجاة من الفتن والتقلبات وتحقيق مظاهر العبودية

كل الكائنات تدور في فلك العبودية ولا يشذ عنها إلا هالك: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُبِخِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].

وكل هذه الخلائق تلهج بذكر الله تعالى وتمجده وتقده، وتخضع لوحدانته وعبوديته: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

فإذا أدرك المسلم ذلك واجتهد أن يأخذ مكانه اللائق في فلك العبودية والتسبيح، فإنه سيشعر بالقرب والألفة والمودة مع هذه المخلوقات المسبحة، وستبادل هذه الخلائق أيضاً تلك المشاعر الفياضة ودأ بود، وحباً بحب، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجْعَلُ أَوِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبا: ١٠].

يقول الشهيد سيد قطب رحمته الله في هذه الآية: ”والآية تصور من فضل الله على داود عليه السلام أنه قد بلغ من الشفافية والتجرد في تسبيحه، أن اتراحت الحجب بينه وبين الكائنات، فاتصلت حقيقتها بحقيقته، في تسبيح بارئها وبارئته، وسبحت معه الجبال والطيور، إذ لم يعد بين وجوده ووجودها فاصل ولا حاجز، حين اتصلت كلها بالله صلة واحدة مباشرة، تنتهي معها الفوارق بين نوع من خلق الله ونوع، ...، فإذا هي

تجارب في تسبيحها للخالق، وتتلاقى في تناغم واحد، وهي درجة من الإشراق والصفاء والتجرد، لا يبلغها أحد إلا بفضل من الله“ (٤٠).

ونبينا ﷺ - وهو خير من زكاه الله - قامت بينه وبين الجوامد والمخلوقات عاطفة من الحب والألفة، وقد صح عنه ﷺ أنه قال: ((أحد جبل يحبنا ونحبه)) (٤١).

وليست هذه المحبة والألفة والمودة شيئاً سلبياً أو عديم الأثر، بل لها من الآثار المادية والمعنوية ما يعظم شأنه، فهي تورث المؤمن السعادة والأنس، وتطرد عنه أى شعور بالوحشة أو الغربة، بل قد تدفعها العاطفة إلى تجاوب وانفعال أكثر مما يكون بين الإنسان وأخيه الإنسان، ومن تمام الحب والألفة. إن هذه المخلوقات تحن لبعدها عننا، وتأسف على فراقه وموته، وهذا ما حدث في قصة حنين الجذع المشهورة.

وقد تتجاوز هذه الحدود وتشمل الريح والوحوش والحجر والشجر وكل الكائنات، حيث تكون في تناغم وانسجام تام مع الذاكرين، ورد في الأثر أن الجيش الإسلامي الذي فتح إفريقية بقيادة عقبة بن نافع رضي الله عنه مرّ بوادٍ موحش مملوء بالحيات والسباع، لم يسكنه أحد من قبل لما فيه من هذه الدواهي، ويسمى وادي قمونية (٤٢)، فوقف عقبة بن نافع رضي الله عنه ونادى ثلاث مرات: ((أيتها الحيات والسباع، إنا أصحاب رسول الله ﷺ، إنا نازلون فارتحلوا))، فإذا بالحيات تخرج، وإذا بالوحوش تحمل صغارها وترحل جميعاً. ويؤكد المؤرخون أن هذا المكان ظل نظيفاً طوال أربعين سنة.

وتظهر مثل هذه الكرامات للآخرين من أمة محمد ﷺ، وهذا في الذي بشر به عليه الصلاة والسلام حيث قال: ((لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يحتجب اليهودي وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، تعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود)) (٤٣).

قال ابن حجر رحمه الله: ”وظاهر الحديث أن النطق يكون حقيقة، ويحتمل المجاز، بأن يكون المراد أنهم لا يفيدهم الاختباء، والأول هو الأظهر“، ولكن يجب أن تنتبه للشرط الذي ورد في هذا الحديث وهو الإسلام والعبودية لله «يا مسلم يا عبد الله»، أما الكافر فلا حب، ولا إلفة، ولا مودة، ولا انسجام بينه وبين الكائنات والمخلوقات، بل هو البغض والكراهة والضيق.

يحكي جبريل عليه السلام للنبي ﷺ عن مشهد إغراق فرعون فيقول له: ((لو رأيته وأنا آخذ من حال البحر - الطين الأسود - فأدسه في فم فرعون مخافة أن تدركه رحمة الله فيغفر له)) (٤٤).

وليس جبريل فقط بل كل المخلوقات قال تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا

مُنظَرِينَ ﴿١٩﴾ [الدخان: ٢٩].

والناس يجهدون أنفسهم بحثاً عن السعادة، وينشدون طمأنينة قلوبهم وجمع شتاتها، ويسألون عما يزيل وحشتهم وغربتهم في هذا الصخب الداوي الذي ما أغنى عنهم شيئاً، وهم إذ يفعلون ذلك لا يتجاوزون البحث في الماديات، ذلك مبلغهم من العلم، ونحن لا ننكر أن يكون للماديات شيء من الأثر في إحداث ما يريدون ولكن المورد العذب، والنهر الفياض، والبلسم الشافي، و الترياق الواقى، لما يبحثون عنه، إنما هو في ذكر الله ﷻ والقرب منه، وتلقي ما ينزل من رحماته، فحينئذ يجدون ضالتهم ومن ذاق عرف، قال إبراهيم بن أدهم: "نحن في لذة لو علمها الملوك لجادونا عليها بالسيوف" (٤٥).

وقال: إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه: "أهل الليل في ليلهم كأهل الباطل في باطلهم"، والذكر من أعظم وسائل السعادة والطمأنينة، وإهماله من أهم أسباب الشقاء والقلق. يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

قال العلماء: "في ذكر الله هنا قولان: أحدهما أنه إذا ذكر العبد ربه فإنه يطمئن إليه قلبه ويسكن، فإذا اضطرب القلب وقلق فليس له ما يطمئن به سوى ذكر الله، ...، والقول الثاني: أن ذكر الله ها هنا القرآن، وهو ذكره الذي أنزله على رسوله" (٤٦).

وليست هذه الآثار للذكر فقط، ولكنها لوسائل التزكية عموماً، يقول الإمام الشهيد الشيخ حسن البنا رحمه الله: "وللإيمان الصادق، والعبادات الصحيحة، والاجاهدات في سبيل الله نور وحلاوة يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده" (٤٧).

ويقول ابن القيم رحمه الله: "والأنس ثمرة الطاعة والمحبة، فكل مطيع متأنس وكل عاصٍ مستوحش، كما قيل:

فإن كنت قد أوحشتك الذنوب فدعها إذا شئت واستأنس (٤٨)“
ولا يمكن لمن جعلوا الدنيا أكبر همهم ومبلغ علمهم ومنتهى آمالهم أن يدركوا هذه الآثار المباركة، إنما يدركها من ذاقها، ومن ذاق عرف، ولهذا قال بعض العارفين: "إنه ليمر بالقلب أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب"، ويقول ابن تيمية رحمه الله: "إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة".

يلتمس الناس الشرف والمكانة في وجهات مختلفة، وقد يسيئون إلى كرامتهم وصولاً لما يلمتسون، فهذا شاعر ذكرته امرأة بالإساءة ففرح لجرد أنها ذكرته فقال:

لئن ساءني أن نلتني بمساءة لقد سرنني أي خطرت ببالك
 فإذا كان هذا يفرح لمجرد ورود اسمه على لسان امرأة، فما بالنا لمن يذكره ربه في علياته وجبريل
 والملائكة المقربون؟! والتزكية هي طريق المسلم إلى ذلك، يقول الله عز وجل: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ
 وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

ويعلق على هذه الآية سيد قطب ويقول: "ولقد ذكر المسلمون الله فذكرهم ورفع ذكرهم ومكثهم من
 القيادة الراشدة، ثم نسوه فنسيهم، فإذا هم همل ضائع، وذبل تافه ذليل، والوسيلة قائمة، والله يدعوهم في
 قرآنه الكريم: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]" (٤٩).

وحتى لا يقصر أحد مفهوم التزكية الواسع على الأذكار والوظائف، أقول إن من السلف من فسر
 الذكر في الآية السابقة بالطاعة.

قال سعيد بن جبير: «الذكر طاعة الله، فمن لم يطعه لم يذكره، وأنا أكثر التسييح والتهيل وقراءة
 القرآن» (٥٠).

ولنتأمل في هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَيِّئُوا بِكُفْرٍ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ
 الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب:
 ٤١-٤٣]. فالتزكية جعلت صاحبها أهلاً لأن يصلي عليه الله ﷺ وملائكته البررة.

ومع طول الطريق وكثرة مشقاته وعقباته، يحتاج المسافر إلى عدة وزاد وثبات يعينه على المواصلة
 والمواجهة، ولا حول للعبد ولا قوة إلا بإذن الله، فهو المثبت المعين، ولولاه ما رفع المسلم قدماً ولا وضع
 أخرى، ولا ثبت على الخير لحظة واحدة. ولكن للثبات عوامل وأسباباً بها يوفق الله سبحانه ويثبت عباده،
 نختار منها ما يتعلق بموضوع التزكية.

فالحجوة إليه سبحانه بالذكر والتأمل في خلقه، والصحبة الصالحة، والفرائض والنوافل، والطاعة والعمل
 الصالح، والصوم وما فيه من روحانية عالية تتجلى وتنزل على الصائمين والقائمين والركع السجود،
 والإنفاق في سبيل الله، وحب المساكين، والدعاء، وبذل الجهد والهمة العالية، والجلوس في حلق العلم،
 والدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، والرجاء والخوف منه ﷻ، وغض البصر عن الحرام، وأكل الحلال، كلها
 وسائل للنجاح من الفتن وتقلبات الحياة، وكان ﷺ يكثر في دعائه أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا
 على دينك»، وأيضاً كان يقول: «اللهم يا مصرف القلوب اصرف قلوبنا على طاعتك» (٥١).

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ

﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ قَدْ جَاءَ قَوْمًا لَقِيَ رَبَّهُمْ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ [يونس: ٥٧-٥٨].

تزكية النفوس من الأهداف الكبرى التي أرسل إليها النبي ﷺ وإخوانه من المرسلين، وقد جعل الله سبحانه الفلاح معقوداً بها، كما جعل الخسران والحياة في إهمالها، أفبعد هذا يظن أحد أنها عمل اختياري يفعله من يشاء ويتركه من يشاء؟! وقد جاء الأمر صريحاً بإصلاح النفوس وتعهدها في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]. جاء في تفسير القرطبي: "معناه: احفظوا أنفسكم من المعاصي" (٥٢).

وقال ابن كثير: "يقول تعالى أمراً عباده المؤمنين أن يصلحوا أنفسهم ويفعلوا الخير بجهدهم وطاقتهم" (٥٣).

وأخيراً فإن التزكية واجبة لأنها مظهر عظيم من مظاهر العبودية التي خلقنا من أجلها: ﴿وَمَا خَلَقْتُ

الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فلا يليق بعامل أن يشغل عن قضيته ورسائله الأساسية، وقد ورد في الحديث القدسي: ((يا أيها الناس إني لم أخلقكم لأستأنس بكم من وحشه، ولا لأستكثر بكم من قلة، ولا لأستعين بكم على دفع أمر عجزت عن دفعه، ولا لجلب منفعه ولا لدفع مضرة، ولكن خلقتكم لتعبدوني طويلاً، وتذكروني كثيراً، وتسبحوني بكراً وأصيلاً)) (٥٤).

فالسودان في ظل هذه الظروف والتحديات القائمة، وتكالب قوى الشر والبغى والعدوان، وتداعيا عليه، ليس له عاصم إلا بيازال برامج تزكية النفس المختلفة، في جميع مجتمعه، باعتباره أمضى سلاح، وأقوى من القنابل الذرية الفتاكة، فهو السلاح الذي استعمله الأنبياء والمرسلون وأصحابهم الكرام، ومن بعدهم المصلحون والصالحون، وهو العلاج الناجع إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكّها أنت خيرٌ من زكّاها، أنت وليّها ومولاها، ونسأل الله الكريم أن يمن علينا بالهداية، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خاتمة

وفي الختام نحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه جميعاً، وبعد...

فقد اجتهدت - والله الحمد والمنة - في جمع مادة هذا البحث في مباحث ورتبتها بالصورة التي ظهرت بها، فإن كان من توفيق فهو من الله سبحانه، وإن كان من قصور فهو النقص المستولي على جملة البشر كما قيل:

من يجد عيباً يسد الخلالاً جلّ من لا عيب فيه وعلا
ويبقى الكلام في التزكية والكتابة فيها من الأمور المطلوبة، بل يجب أن تأخذ مكانها اللائق بها، وألا نكتفي بما في مثل هذه البحوث، وفيما كتبه الأولون الزاد الوافر لمن أراد إصلاح نفسه والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المراجع والمصادر

- إحياء علوم الدين، محمد أبو حامد الغزالي، ط ٢، القاهرة ١٩٩٢م.
- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ط ٣، دار الحديث، بدون تاريخ.
- البداية والنهاية، ابن كثير عماد الدين أبو الفداء، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، ط ١٣، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م، بيروت.
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط ٢، ١٣٨٧هـ، دار الكتاب العربي القاهرة.
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، تحقيق أبي حذيفة عبيد الله بن عالية ط ٤، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
- العقيدة جوهرها وآفاقها، الشيخ محمد الخطيب، ط ٢، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- المستخلص في تزكية النفس، للأستاذ سعيد حوى، ط ٢، دار الكتاب العربي القاهرة، بدون تاريخ.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، إستانبول، المكتبة الإسلامية، ١٩٨٤م.
- تحفة الأحوذى في شرح الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ طباعة.
- تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ط ١، مكتبة الصفا، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- ترتيب القاموس، طباعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٩هـ-١٩٩٧م.
- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء الحافظ إسماعيل بن كثير، ط ١٣، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م.
- جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي ط ٢، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، دار ابن كثير، بدون تاريخ.
- حياة الصحابة، للكاتب هلولي، دار الكتب الثقافية والعلمية.
- ربانية لا زهانية، للعلامة الإمام السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي، ط ١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار ابن كثير، دمشق، بيروت.
- سنن الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- عون المعبود في سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، بدون تاريخ.
- فتح القدير، للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ط ١، القاهرة، دار الحديث، ١٩٩٣م.
- فقه السنة، السيد سابق، ط ٨، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.

- في ظلال القرآن، سيد قطب، ط ١١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، دار الشروق، القاهرة.
- كتاب السبعة في القراءات، لابن مجاهد، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، ط ٣، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.
- كشف الخفاء و مزيل الإلباس عما اشتهر من الحديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني، ط ٣، ١٣٥١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الجيل، بدون تاريخ.
- منهج التابعين في تربية النفوس، عبد الحميد البلالي، ط ٢، دار ابن كثير، بدون تاريخ.

الهوامش

- (١) رواه أصحاب السنن.
- (٢) انظر: تفسير القرطبي، ٢٤٦/٥.
- (٣) انظر: تفسير القرطبي، ٢٤٦/٥.
- (٤) انظر: ربانية لا رهبانية، ص ١٠.
- (٥) انظر: المستخلص في تزكية الأنفس، ٣.
- (٦) انظر: المرجع السابق، ٢٨.
- (٧) انظر: تفسير ابن كثير، ٥١٦/٥، وفتح القدير للشوكاني، ٤٤٩/٥.
- (٨) انظر: الجواب الكافي لابن القيم، ص ١٣٠، ومعنى انقمع ذل أو استخفى.
- (٩) انظر: فتح القدير للشوكاني ١٧٤/٥.
- (١٠) انظر: تفسير القرطبي ٢٤٩/١٧.
- (١١) الحديث رواه الترمذي وقال: "حديث حسن صحيح غريب"، انظر الترمذي ح(٣٧١٣)، باب رقم ٦٩، تحفة الأحوذى ٣١٨/٩، دار الكتب العلمية بيروت، بدون تاريخ طباعة.
- (١٢) انظر: ربانية لا رهبانية، ص ١٣، ١٤، والعالم الأول الذي رفض المال هو العز بن عبد السلام، والثاني هو الميرزا مظفر الدهلوى الهندي من مشايخ القرن، والثالث هو عالم دمشق الشيخ سعيد الحلبي من علماء القرن الماضي.
- (١٣) انظر: تفسير هذه الآية في ظلال القرآن لسيد قطب، ٧١٢/٢-٧١٣.
- (١٤) انظر: إغائة اللهفان لابن القيم، ١٨٢/٢.
- (١٥) لمزيد من الفهم والاستفادة من النصوص المشاهدة يمكن الرجوع لكتب التفسير لمراجعة الآيات التي أوردتها الكتب التفسيرية الموضوعية أو مراجعة كتاب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن.
- (١٦) رواه الترمذي وقال "حديث غريب"، انظر تحفة الأحوذى بشرح الترمذي، ح(٣٧٥٧)، ٣٥٩٨/٩.
- (١٧) رواه مسلم، وانظر: «تحفة الذاكرين»، ص ٢١١، وهناك أدعية كثيرة للمجاهدين في مواقفهم المختلفة قبل اللقاء وعند التحرك وعند المواجهة وعند الحصار وبعد النصر... إلخ.
- (١٨) انظر: حياة الصحابة للكاندهلوى، ٣١١/٢، وفي الجزء الأول منه فصول عن الصوم والصلاة والذكر والدعاء في الجهاد وكلها ضرورية لتزكية المجاهدين.
- (١٩) انظر: البداية والنهاية، ٣٦/٤، دار الريان للتراث، ط الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٨٨م.
- (٢٠) انظر: فتح الباري، ٣٠/٦.
- (٢١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ٤١-٤٤.
- (٢٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ٤١-٤٤.
- (٢٣) انظر: منهج التابعين في تربية النفوس، عبد الحميد البلالى، ١٠٦.
- (٢٤) انظر: ربانية لا رهبانية، ٤٣-٦٩.
- (٢٥) انظر: ربانية لا رهبانية، ١٣-١٤.

- (٢٦) انظر: ربانية ولا رهبانية، ١٥.
- (٢٧) انظر: الجواب الكافي، ٢٥٧.
- (٢٨) قرأ ابن عامر وعاصم وحمة والكسائي ونافع: «يدافع» بالألف، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «يدفع» بغير ألف، انظر: كتاب السبعة لابن مجاهد في القراءات السبع، ٤٣٧.
- (٢٩) انظر: أسباب النزول للسيوطي، ص ٢٧٩، وفتح القدير للشوكاني، ٢٤٤/٥، وحياة الصحابة، ٦٦٨/٣.
- (٣٠) انظر: تفسير القرطبي ٦-٤٢٤.
- (٣١) انظر: في ظلال القرآن، ١٨٠٩/٢.
- (٣٢) انظر: فتح القدير للشوكاني، ٣٦٩/٣.
- (٣٣) انظر: الجواب الكافي لابن القيم، ص ٦٤.
- (٣٤) انظر: المرجع السابق، ص ٦٦.
- (٣٥) انظر: تحفة الذاكرين للشوكاني، ١٠٦.
- (٣٦) رواه البخاري، ح (٦٣١٨)، الفتح، ١٤٣/١١، باب ١١، ط ٣، ٢٠٠٠م، مكتبة دار السلام الرياض، مكتبة الفيحاء دمشق.
- (٣٧) رواه الطبراني والبيهقي بإسناد حسن، انظر: جامع العلوم والحكم، ص ٣٣١.
- (٣٨) انظر: إحياء علوم الدين، ٣٩٩/٤.
- (٣٩) انظر: الجواب الكافي لابن القيم، ص ٦٦.
- (٤٠) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب، ٢٨٩٧/٥، بتصرف.
- (٤١) رواه البخاري والترمذي وأحمد والطبراني عن أنس وغيره، انظر كشف الخفاء، ٧٥/١-٨٥.
- (٤٢) قومية بلد بإفريقيا. انظر: ترتيب القاموس، ٦٩٣/٣، باب القاف، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- (٤٣) الحديث رواه البخاري، انظر: فتح الباري شرح البخاري، ح (٢٩٢٥)، ١٢٦/٦، باب ٩٤، ط ٣، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، مكتبة دار السلام الرياض، مكتبة الفيحاء دمشق، الطبعة الجديدة.
- (٤٤) انظر: ابن كثير، ٤٣٠/٢.
- (٤٥) انظر: مدارج السالكين، ص ٤٨٨-٤٨٩، وإغاثة اللفهان، ١٩٧/٢.
- (٤٦) انظر: مدارج السالكين، ٥٣٤/٢-٥٣٥.
- (٤٧) انظر: الأصول الثالث من الأصول العشرين.
- (٤٨) انظر: مدارج السالكين، ٤٢٣/٢.
- (٤٩) انظر: في ظلال القرآن، ١٤١/١.
- (٥٠) انظر: تفسير القرطبي، ١٧١/٢.
- (٥١) وجاء عن أم سلمة قالت: كان أكثر دعائه ﷺ: ((يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك))، قال الترمذي: "حديث حسن"، انظر الترمذي، ح (٣٧٥٢)، تحفة الأحوذى شرح الترمذي، للحافظ المباركفوري، ٣٥٤/١، باب ٩٥، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

(٥٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ٦/٣٤٢.

(٥٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٢/١٠٩.

(٥٤) انظر: كتاب العقيدة جوهرها وآفاقها للشيخ محمد الخطيب، ص ٩٨-٩٩.